

وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ
ابن شهوان
تأليف
فضيلة الشيخ الدكتور
أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان
حفظه الله تعالى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ للهِ وَحْدَهُ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنْ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ ﷺ.

• **أَمَّا بَعْدُ:**

فَمِنْ صِفَاتِ رَبِّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: صِفَةُ الشِّفَاءِ.. صِفَةُ الشِّفَاءِ مِنْ صِفَاتِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا، فَهُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الشَّافِي حَقِيقَةً مِنْ كُلِّ مَرَضٍ وَدَاءٍ ظَاهِرٍ وَبَاطِنٍ.. مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِالْقُلُوبِ وَالْأَرْوَاحِ، وَمِمَّا يَتَعَلَّقُ بِالْأَجْسَادِ وَالْأَبْدَانِ، فَاللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَحْدَهُ هُوَ الشَّافِي مِنْ هَذَا جَمِيعِهِ.

وَقَدْ أَخْبَرَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَنْ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ وَخَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِقَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ

﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٧٨-٨٠].

﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾؛ فَهُوَ الشَّافِي حَقِيقَةً.

أَسْنَدَ إِبْرَاهِيمُ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- الْمَرَض إِلَىٰ نَفْسِهِ، وَإِنْ كَانَ عَنْ قَدَرِ اللهِ وَقَضَائِهِ وَخَلْقِهِ؛ وَلَكِنَّهُ عليه السلام أَضَافَ الْمَرَض إِلَىٰ نَفْسِهِ أَدَبًا مَعَ اللهِ، وَهَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الطَّلَبُ.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى﴾، فَأَسْنَدَ الْخَلْقَ للهِ ﴿فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ أَيْ: يَهْدِينِي، فَأَسْنَدَ الْهِدَايَةَ للهِ، ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى﴾، فَأَسْنَدَ الْإِطْعَامَ للهِ ﴿وَيَسْقِينِ﴾، أَيْ: وَيَسْقِينِي، فَأَسْنَدَ الْإِسْقَاءَ للهِ، فَلَمَّا جَاءَ إِلَىٰ الْمَرَضِ قَالَ: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ﴾، وَلَمْ يَقُلْ: وَإِذَا أَمْرَضَنِي فَهُوَ يَشْفِينِ، وَإِنَّمَا قَالَ: ﴿وَإِذَا

مَرِضۡتُ﴾؛ مَرِضْتُ أَنَا، فَأَسْنَدَ ذَلِكَ إِلَىٰ نَفْسِهِ، وَلَمْ يُسْنِدْهُ إِلَىٰ رَبِّهِ، وَاللهُ ﷻ مِنْهُ هَذَا وَهَذَا؛ وَلَكِنَّهُ أَدبًا مَعَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ يَقُولُ: ﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ﴾.

هَذَا الْأَدَبُ فِي الْخِطَابِ وَفِي الطَّلَبِ وَالدُّعَاءِ عَلَىٰ الْعَبْدِ أَنْ يُرَاعِيَهُ مَعَ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، بَلْ إِنَّ الْإِنْسَانَ فِي الْكَلَامِ مَعَ النَّاسِ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُرَاعِيَ هَذَا، فَلَا يَتَوَجَّهُ إِلَىٰ الْخَلْقِ بِمَا يَسُوءُ؛ حَتَّىٰ وَلَوْ كَانَ حَاكِيًا، يَعْنِي: إِذَا أَرَادَ أَنْ يَصِفَ لِأَخِيهِ شَيْئًا سَمِعَهُ، وَأَنْ يَحْكِيَهُ لَهُ مِمَّا يَسُوءُ ذِكْرُهُ بِالْمُوَاجَهَةِ؛ يَقُولُ: مَرَرْتُ بِرَجُلٍ يَقُولُ لِأَخِيهِ: أَنْتَ قَلِيلُ الْأَدَبِ! فَيَتَوَجَّهُ إِلَىٰ الْمُخَاطَبِ بِقَوْلِهِ: (فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ قَلِيلُ الْأَدَبِ!)، فَهَذَا التَّوَجُّهُ بِالْخِطَابِ عَلَىٰ هَذَا النَّحْوِ مِنْ قِلَّةِ الْأَدَبِ، أَوْ مِنْ سُوءِ الْأَدَبِ!

وَكَيْفَ يَقُولُ إِذَنْ؟!! كَمَا قَالَ عُلَمَاؤُنَا -وَنَقَلْتُ ذَلِكَ مُفَصَّلًا فِي «آدَابِ طَالِبِ الْعِلْمِ»، وَكَذَلِكَ فِي «فَضْلِ الْعِلْمِ»-: أَنَّهُ إِذَا تَكَلَّمَ مَعَ شَيْخِهِ حَاكِيًا؛ لَا يُجَبِّهُهُ بِمَا يَسُوءُ، فَيَقُولُ: مَرَرْتُ بِفُلَانٍ يَقُولُ لِفُلَانٍ: أَنْتَ سَيِّءُ الْأَدَبِ.. أَنْتَ قَلِيلُ الْأَدَبِ، وَإِنَّمَا يَقُولُ: مَرَرْتُ بِفُلَانٍ يَقُولُ لِأَخِيهِ: الْأَبْعَدُ قَلِيلُ الْأَدَبِ.

فَإِذَا وَجَّهَ الْخِطَابَ؛ فَيَنْبَغِي أَلَّا يُوَجِّهَهُ لِمَنْ يَكُونُ سَامِعًا لَهُ مُوَاجِهًا لَهُ، يُوَجِّهُ إِلَيْهِ الْخِطَابَ كِفَاحًا، وَإِنَّمَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي أَنْ يَكُونَ ذَا أَدَبٍ عِنْدَ الْحَدِيثِ وَعِنْدَ الطَّلَبِ، وَكَذَا الْمُسْلِمُ؛ فَكَيْفَ بِطَالِبِ الْعِلْمِ؟!!

فَلِذَلِكَ قَالَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ

يَشْفِينِ ﴾، وَلَمْ يَقُلْ: وَإِذَا أَمْرَضَنِي فَهُوَ يَشْفِينِي، وَإِنَّمَا قَالَ: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾.

﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾: إِذَا وَقَعْتُ فِي مَرَضٍ، وَنَزَلَ بِي دَاءٌ؛ فَإِنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شِفَائِي أَحَدٌ سِوَاهُ بِمَا يُقَدِّرُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مِنَ الْأَسْبَابِ الْمُوصِلَةِ إِلَىٰ الشِّفَاءِ، وَقَدْ يَشْفِي بِغَيْرِ سَبَبٍ ظَاهِرٍ، فَيَرْفَعُ الْبَلَاءَ جُمْلَةً، وَيَمُنُّ بِالْعَافِيَةِ كَامِلَةً، وَيَمْضِي الْمَرْءُ كَأَنْ لَمْ يُصَبْ بِشَيْءٍ؛ بَلْ يَكُونُ مَرَضُهُ كَأَنَّهُ كَانَ زِيَادَةً فِي الْعَافِيَةِ، وَاللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

وَقَدْ يَجْعَلُ الشِّفَاءَ بِأَسْبَابٍ، وَقَدْ تَكُونُ أَسْبَابًا ظَاهِرَةً وَأَسْبَابًا بَاطِنَةً، وَقَدْ تَكُونُ أَسْبَابًا تَتَعَلَّقُ بِالدُّنْيَا بِمُبَاشَرَةِ الْأَسْبَابِ الَّتِي خَلَقَهَا اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِيهَا،

وَجَعَلَ لَهَا تَأْثِيرَاتِهَا بِقَدَرِهِ، وَقَدْ تَكُونُ أَسْبَابًا إِيمَانِيَّةً قَلْبِيَّةً؛ كَالدَّعَوَاتِ الصَّالِحَاتِ الْمُبَارَكَاتِ، وَالرُّقَىٰ النَّافِعَاتِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ، فَكُلُّ ذَلِكَ يَجْعَلُهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مِنْ أَسْبَابِ الشِّفَاءِ.

وَوَرَاءَ ذَلِكَ مِمَّا لَا يَكُونُ ظَاهِرًا بِسَبَبِهِ مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا عَادَ مَرِيضًا -أَيْ: زَارَهُ فِي مَرَضِهِ-؛ يَقُولُ: «**أَذْهِبِ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ، اشْفِهِ أَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا**»[١].

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «**الصَّحِيحِ**»: (١٠/ ١٣١، رقم ٥٦٧٥)، وَمُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: (٤/ ١٧٢١، رقم ٢١٩١).

الْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ، وَاللَّفْظُ لَهُ.

كَانَ إِذَا عَادَ مَرِيضًا؛ يَقُولُ: «**أَذْهِبِ الْبَاسَ** -أَيِ: الْبَأْسَ، أَيِ: الْمَرَضَ وَالدَّاءَ- **رَبَّ النَّاسِ، اشْفِهِ أَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا**».

⦿ ⦿ ⦿

طَرَفٌ مِنْ جَمَالِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَبَلَاغَتِهَا

مِمَّا يُذْكَرُ هُنَا: أَنَّ اللُّغَةَ الْعَظِيمَةَ الَّتِي أَنْزَلَ اللهُ -تَعَالَىٰ- بِهَا كِتَابَهُ، وَنَطَقَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ خِطَابَهُ، وَجَلَّىٰ بِهَا بَيَانَهُ؛ هَذِهِ اللُّغَةُ الْعَظِيمَةُ فِيهَا مِنَ الْأَسْرَارِ الدَّقِيقَةِ مَا لَا يُحِيطُ بِهِ إِلَّا النَّبِيُّ، كَمَا قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «فَكَمَا أَنَّ السُّنَّةَ لَا يُحِيطُ بِهَا إِلَّا النَّبِيُّ؛ فَكَذَا لُغَةُ الْعَرَبِ لَا يُحِيطُ بِهَا إِلَّا النَّبِيُّ ﷺ»(١).

---

(١) «الرِّسَالَةُ»: (ص٤٢، رقم ١٣٨ و ١٣٩)، بلفظ: «ولسان العرب... لا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غيرُ نبي... والعلمُ به عند العرب كالعلم بالسنة عند أهل الفقه، لا نعلم رجلًا جمع السنن فلم يذهب منها عليه شيءٌ» باختصار.

مِنْ هَذِهِ الْأَسْرَارِ: أَنَّ (هَمْزَةَ الْوَصْلِ) هَاهُنَا تَأْتِي فِي سِيَاقِ طَلَبِ الشِّفَاءِ، فَإِذَا صَارَتْ (هَمْزَةَ قَطْعٍ)؛ كَانَتْ دُعَاءً بِالْهَلَاكِ!!

«**اللَّهُمَّ أَذْهِبِ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ، اشْفِهِ..**»؛ اشْفِهِ: بِهَمْزَةِ الْوَصْلِ، لَوْ قُلْتَ: أَشْفِهِ؛ لَكَانَ الْمَعْنَىٰ: أَهْلِكْهُ!! وَلِذَلِكَ قَدْ يَكُونُ الرَّجُلُ مُحِيطًا بِطَرَفٍ مِنَ اللُّغَةِ، فَيَعُودُ مَرِيضًا يَكْرَهُهُ، فَيَدْعُو عَلَيْهِ، وَيُؤَمِّنُ الْمَرِيضُ وَهُوَ يَدْعُو عَلَيْهِ وَلَا يَدْرِي!!

وَتَأَمَّلْ إِلَىٰ قَلْبِ الْمَعْنَىٰ لِمُجَرَّدِ أَنْ جَعَلَ (هَمْزَةَ الْوَصْلِ) (هَمْزَةَ قَطْعٍ)، «**اشْفِهِ أَنْتَ الشَّافِي**»، يَقُولُ: أَشْفِهِ؛ يَعْنِي: أَهْلِكْهُ!! هَذَا كُلُّهُ مِنْ أَسْرَارِ الْعَرَبِيَّةِ.

وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الْفِعْلَ عِنْدَمَا يُسْتَعْمَلُ مَعَهُ حَرْفُ الْجَرِّ؛ مِنْ عَبْقَرِيَّةِ هَذِهِ اللُّغَةِ، وَمِنْ جَلَالِهَا، وَمِنْ دِقَّةِ أَسْرَارِهَا: أَنَّ الْمَعْنَىٰ يَتَحَوَّلُ بِاخْتِلَافِ حَرْفِ الْجَرِّ، فَأَنْتَ تَقُولُ: رَغِبَ فِيهِ، وَتَقُولُ: رَغِبَ عَنْهُ، فَرَغِبَ رَغِبَ.. لَمْ تَتَغَيَّرْ؛ وَلَكِنَّ الْمَعْنَىٰ انْقَلَبَ، رَغِبَ فِيهِ؛ أَيْ: لَهُ فِيهِ رَغْبَةٌ، وَعَلَيْهِ إِقْبَالٌ، وَلَهُ فِيهِ تَطَلُّعٌ وَرَجَاءٌ وَمَحَبَّةٌ وَإِقْبَالٌ، وَ(رَغِبَ عَنْهُ) أَيِ: انْصَرَفَ عَنْهُ، فَـ (رَغِبَ فِيهِ) بِضِدِّ (رَغِبَ عَنْهُ).

وَلِذَلِكَ لَمَّا دَخَلَ الرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ عَلَىٰ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ يَعُودُهُ فِي مَرَضِهِ، وَكَانَ الشَّافِعِيُّ مِمْرَاضًا، وَكَانَتِ الْبَوَاسِيرُ النَّازِفَةُ سَبَبَ مَوْتِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ؛ حَتَّىٰ إِنَّهُ كَانَ يَرْكَبُ الْبَغْلَةَ، فَيَمْتَلِئُ خُفُّهُ مِنَ الدَّمِ النَّازِفِ مِنَ الْبَوَاسِيرِ

-رَحِمَهُ اللهُ رَحْمَةً وَاسِعَةً-، فَدَخَلَ عَلَيْهِ الرَّبِيعُ يَعُودُهُ فِي مَرَضِهِ، وَكَانَ الشَّافِعِيُّ لَهُ مُحِبًّا؛ حَتَّىٰ إِنَّهُ قَالَ فِيهِ لَمَّا مَرِضَ:

مَرِضَ الْحَبِيبُ فَعُدْتُهُ
فَمَرِضْتُ مِنْ حُزْنِي[1] عَلَيْهِ
شُفِيَ الْحَبِيبُ فَعَادَنِي
فَبَرِئْتُ مِنْ نَظَرِي إِلَيْهِ[2]

---

(١) في مصادر التخريج: «حذري»، وهي علىٰ وزن «نَظَرِي» في عجر البيت الثاني.

(٢) البيتان من مجزوء الكامل، أخرجهما أبو طالب المكي في «**قوت القلوب**»: (٢/ ٣٨٠-٣٨١)، والبيهقي في «**مناقب الشافعي**»: (٢/ ٩٣)، والرافعي في «**التدوين في أخبار**
=

فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ الرَّبِيعُ دَعَا لَهُ، فَقَالَ لَهُ: «قَوَّىٰ اللهُ ضَعْفَكَ يَا إِمَامُ».

فَقَالَ الشَّافِعِيُّ.. وَالشَّافِعِيُّ مِمَّنْ تُؤْخَذُ عَنْهُمُ اللُّغَةُ، كَمَا قَالَ الْمُتَقَدِّمُونَ مِنْ أَهْلِ اللُّغَةِ؛ حَتَّىٰ إِنَّ الْجَاحِظَ -وَهُوَ مَنْ هُوَ فِي مَسَائِلِ اللُّغَةِ وَالْأَدَبِ، وَهُوَ مُعْتَزِلِيٌّ صَاحِبُ فِرْقَةٍ، كَانَتْ لَهُ جَمَاعَةٌ كَالْجَمَاعَاتِ الْحَاضِرَةِ،

=

قزوين»: ترجمة علي بْن إبراهيم القزويني، (٣/ ٤٩٥-٤٩٦)، بأسانيد صحاح:

أن محمد بن عبد الحكم المصري مرض، وكان الشافعي يحبه ويقربه، فلما عاده ولقيه تنفس الشافعي الصعداء، وأنشأ يقول: ... فذكر البيتان، وهما في «**ديوانه**»: (ص١٢٨، رقم ٣٥).

كَانَتْ لَهُ فِرْقَةٌ مُعْتَزِلِيَّةٌ يُقَالُ لَهَا: «الْجَاحِظِيَّةُ»، وَهَذَا مَذْكُورٌ فِي كُتُبِ الْمِلَلِ وَالنِّحَلِ-(١)، الْجَاحِظُ(٢) يَقُولُ: نَظَرْتُ فِي كُتُبِ الْمُتَكَلِّمِينَ فِي الْعِلْمِ، فَلَمْ أَرَ أَبْلَغَ وَلَا أَفْصَحَ مِنَ الْمُطَّلِبِيِّ -يَعْنِي: الْإِمَامَ الشَّافِعِيَّ-، كَأَنَّ

---

(١) «**الجاحظية**»: فرقة من فرق المعتزلة، وهم أَتبَاع عَمْرو بن بَحر الجاحظ (المتوفي سنة ٢٥٠هـ)، وكان أحد المجّان الضلّال، متهم بالزندقة.

انظر: «**الفرق بين الفرق**»: (١٧٥-١٧٨، الفرقة ١٠٢)، و«**التبصرة**»: الفرقة الثالثة عشر، (ص٨٠)، و«**الملل والنحل**»: (١/ ٧٥، الفرقة ١٠).

(٢) هو المُعْتَزِلِيُّ: عَمْرُو بنُ بَحْرِ بنِ مَحْبُوْبٍ البَصْرِيُّ أَبُو عُثْمَانَ الجَاحِظُ، صَاحِبُ (كِتَابِ الحَيَوَانِ) كَانَ مَاجِنًا قَلِيْلَ الدِّيْنِ، مَاتَ سَنَةَ خَمْسِيْنَ وَمائَتَيْنِ.

انظُرْ: «**السِّيَرَ**»: (١١/ ٥٢٦، تَرْجَمَةُ ١٤٩).

لِسَانَهُ يَنْثُرُ الدُّرَّ -يَقُولُ عَنِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ، الْجَاحِظُ هُوَ الَّذِي يَقُولُ-، يَقُولُ عَنِ الشَّافِعِيِّ الْإِمَامِ رَحِمَهُ اللهُ: «كَأَنَّ لِسَانَهُ يَنْثُرُ الدُّرَّ»(١).

---

(١) أخرجه ابن عدي في خطبة كتابه «الكامل في ضعفاء الرجال»: (١/ ٢٠٦)، والبيهقي في «مناقب الشافعي»: باب ما يستدل به علىٰ رغبة علماء عصر الشافعيِّ ومَنْ بَعْدهم في كُتُبِه، (١/ ٢٦٠-٢٦١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق»: ترجمة الإمام الشافعي، (٥١/ ٣٧٠)، بإسناد صحيح، عن مُحَمد بْنِ عَبد اللهِ العُمَرِيِّ، قال: سَمعتُ الْجَاحِظَ يَقُولُ: «**نَظَرْتُ فِي كُتُبِ هَؤُلاءِ النَّبَغَةِ الَّذِينَ نَبَغُوا فَلَمْ أَرَ أَحْسَنَ تَأْلِيفًا مِنَ الْمُطَّلِبِيِّ، كَأَنَّ فَاهُ نُظِمَ دُرًّا إِلَىٰ دُرٍّ**».

وزاد في رواية: «...، **ونظرت في كتب فلان فما شبهته إلا بكلام الرَّقَّائين وأصحاب الحَيَّات**».

الْآنَ عِنْدَنَا أَقْوَامٌ يَتَمَدَّحُونَ بِالْعِيِّ وَالْفَهَاهَةِ، وَيُعَيِّرُونَ مَنْ آتَاهُ اللهُ فَصَاحَةً، فَيَقُولُونَ: هَذَا مُتَكَلِّفٌ، هَذَا مُتَقَعِّرٌ، هَذَا كَذَا، وَهُمْ لَا يَفْهَمُونَ!! حَمْقَىٰ!

يَقُولُ الْجَاحِظُ عَنِ الشَّافِعِيِّ: «كَأَنَّ لِسَانَهُ يَنْثُرُ الدُّرَّ»، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ الرَّبِيعُ، فَقَالَ: «قَوَّىٰ اللهُ ضَعْفَكَ يَا إِمَامُ»؛ ابْتَسَمَ وَقَالَ: «لَوْ قَوَّىٰ ضَعْفِي قَتَلَنِي!!».

قَالَ: «فَمَا أَقُولُ؟».

قَالَ: «تَقُولُ: قَوَّىٰ اللهُ قُوَّتَكَ، وَأَضْعَفَ اللهُ ضَعْفَكَ».

أَمَّا أَنْ تَقُولَ: قَوَّىٰ اللهُ ضَعْفَكَ؛ فَمَعْنَىٰ ذَلِكَ: أَنَّهُ سَيَقْتُلُنِي بِضَعْفِي.

قَالَ: «لَوْ قَوَّىٰ ضَعْفِي قَتَلَنِي».

قَالَ: «فَمَا أَقُولُ؟».

قَالَ: «تَقُولُ: أَضْعَفَ اللهُ ضَعْفَكَ، وَقَوَّىٰ اللهُ قُوَّتَكَ».

قَالَ: «وَاللهِ مَا أَرَدْتُ إِلَّا الْخَيْرَ».

فَقَالَ: «يَا رَبِيعُ! وَاللهِ لَوْ شَتَمْتَنِي؛ لَعَلِمْتُ أَنَّكَ مَا أَرَدْتَ إِلَّا الْخَيْرَ!!»(١)؛ مِنْ عَظِيمِ ثِقَتِهِ بِهِ، وَمِنْ جَلِيلِ مَحَبَّتِهِ لَهُ.

---

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «**آدَابِ الشَّافِعِيِّ وَمَنَاقِبِهِ**»: (ص٢٠٩)، وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي «**الْحِلْيَةِ**»: (٩/ ١٢٠)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «**مَنَاقِبِ الشَّافِعِيِّ**»: (٢/ ١١٦ - ١١٧ و ٢١٧ و ٣٦١)، بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْتَ الْيَوْمَ أَنْ تَقُولَ هَذَا لِأَحَدٍ؟!! **تَقُولُ**: لَوْ شَتَمْتَنِي؛ لَعَلِمْتُ أَنَّكَ مَا أَرَدْتَ إِلَّا الْخَيْرَ؟!!

أَصْحَابُ الْحُقُوقِ تُجْحَدُ حُقُوقُهُمْ؛ فَإِنَّ الْأَبَ إِذَا لَمْ يُوَفِّ ابْنَهُ بَعْضَ مَا طَلَبَ وَلَيْسَ لَهُ فِيهِ حَقٌّ؛ جَحَدَهُ وَجَحَدَ فَضْلَهُ، وَالْمُعَلِّمُ إِذَا اشْتَدَّ بِقَسْوَةٍ عَلَىٰ بَعْضِ طُلَّابِهِ لِيُرَبِّيَهُ وَلِيُؤَدِّبَهُ؛ انْقَلَبَ لَهُ، وَانْقَلَبَ عَلَيْهِ، وَصَارَ لَهُ عَدُوًّا، وَانْحَازَ إِلَىٰ صَفِّ أَعْدَائِهِ، وَصَارَ فِيهِ طَاعِنًا!!

هَذَا عَصْرٌ فِيهِ مِنَ الْعَجَائِبِ مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ! هَذَا عَصْرُ الْجُحُودِ! فَقَلَّ مَنِ اعْتَرَفَ بِنِعْمَةٍ، أَوْ شَكَرَ عَلَىٰ فَضْلٍ، هَذَا عَصْرُ الْجُحُودِ فِي جَمِيعِ الْمَجَالَاتِ؛ حَتَّىٰ فِي الْعِلْمِ!! فَنَسْأَلُ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنْ يُوزِعَنَا شُكْرَ نِعْمَتِهِ، إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

◉ ◉ ◉

الْقُرْآنُ شِفَاءُ الْقُلُوبِ وَالْأَبْدَانِ

أَنْزَلَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا الْقُرْآنَ، وَجَعَلَهُ الشِّفَاءَ التَّامَّ مِنْ جَمِيعِ الْأَدْوَاءِ الْقَلْبِيَّةِ وَالْبَدَنِيَّةِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧].

فَالْقُرْآنُ الْكَرِيمُ رَبِيعُ الْقُلُوبِ، وَشِفَاءُ الصُّدُورِ، وَنُورُ الْبَصَائِرِ، وَحَيَاةُ الْأَرْوَاحِ، هُوَ كَلَامُ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

الشِّفَاءُ فِي الْقُرْآنِ، وَالْقُرْآنُ هُوَ الشِّفَاءُ لِمَا فِي الصُّدُورِ؛ وَإِنْ لَمْ يَسْتَشْفِ بِهِ أَكْثَرُ الْمَرْضَىٰ!! وَهَذَا مِنَ الْعَجَبِ!! أَنَّ الشِّفَاءَ مَبْذُولٌ، وَأَنَّهُ قَرِيبٌ، وَأَنَّهُ مَهْمَا حَاكَ

فِي الصَّدْرِ مِنْ شَيْءٍ يُرِيبُ؛ فَفِي الْقُرْآنِ دَوَاؤُهُ، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَلَّ مَنْ يَلْتَفِتُ إِلَىٰ ذَلِكَ الدَّوَاءِ، وَقَلَّ مَنْ يُقْبِلُ عَلَيْهِ مُلْتَمِسًا لَهُ؛ لِيُذْهِبَ اللهُ بِهِ رَيْبَ قَلْبِهِ وَشَكَّهُ!!

الْقُرْآنُ فِي نَفْسِهِ شِفَاءٌ؛ اسْتُشْفِيَ بِهِ أَوْ لَمْ يُسْتَشْفَ بِهِ؛ لِأَنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُقْبِلُونَ عَلَىٰ الْقُرْآنِ، وَلَا يَسْتَشْفُونَ بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، لَا يَطْلُبُونَ الشِّفَاءَ فِيهِ، لِيُذْهِبَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهِ شَكَّ الْقُلُوبِ وَوَحَرَ الصُّدُورِ.

فَلَمْ يُنْزِلِ اللهُ ﷻ مِنَ السَّمَاءِ شِفَاءً قَطُّ أَعَمَّ وَلَا أَنْفَعَ وَلَا أَعْظَمَ وَلَا أَنْجَعَ فِي إِزَالَةِ الدَّاءِ مِنَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، فَمَنِ اسْتَشْفَىٰ بِهِ؛ صَحَّ وَبَرِأَ مِنْ مَرَضِهِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت: ٤٤].

«وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٨٢].

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ﴾؛ (مِنْ) هَاهُنَا لِبَيَانِ الْجِنْسِ، لَا لِلتَّبْعِيضِ ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ﴾، لَوْ كَانَتْ لِلتَّبْعِيضِ؛ لَكَانَ الْمَعْنَىٰ: أَنَّ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ، وَمِنْهُ مَا لَيْسَ بِشِفَاءٍ!! لَوْ كَانَتْ (مِنْ) هَاهُنَا لِلتَّبْعِيضِ ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ﴾؛ أَيْ: بَعْضُهُ يَكُونُ شِفَاءً، وَبَعْضُهُ لَا يَكُونُ شِفَاءً!! لَيْسَتْ (مِنْ) هَاهُنَا لِلتَّبْعِيضِ، وَإِنَّمَا (مِنْ) هَاهُنَا بَيَانِيَّةٌ؛ فَالْقُرْآنُ كُلُّهُ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ؛ أَيْ: وَنُنَزِّلُ مِنْ جِنْسِ الْقُرْآنِ ﴿مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ﴾ (مِنْ) بَيَانِيَّةٌ ﴿مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

●●●

شُرُوطُ فَلَاحِ الِاسْتِشْفَاءِ بِالْقُرْآنِ

الْقُرْآنُ هُوَ الشِّفَاءُ التَّامُّ مِنْ جَمِيعِ الْأَدْوَاءِ الْقَلْبِيَّةِ وَالْبَدَنِيَّةِ، وَمِنْ أَدْوَاءِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَمَا كُلُّ أَحَدٍ يُؤَهَّلُ وَلَا يُوَفَّقُ لِلِاسْتِشْفَاءِ بِالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ.

وَإِذَا أَحْسَنَ الْعَلِيلُ التَّدَاوِيَ بِهِ، وَوَضَعَهُ عَلَىٰ دَائِهِ بِصِدْقٍ وَإِيمَانٍ، وَقَبُولٍ كَامِلٍ تَامٍّ، وَاعْتِقَادٍ جَازِمٍ، وَاسْتِيفَاءٍ لِشُرُوطِهِ؛ لَمْ يُقَاوِمْهُ الدَّاءُ أَبَدًا، وَكَيْفَ تُقَاوِمُ الْأَدْوَاءُ كَلَامَ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ الَّذِي لَوْ أُنْزِلَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَتَصَدَّعَ مِنْ عَظَمَتِهِ وَجَلَالِهِ؟!!»[1].

---

(١) «**زاد المعاد**» لابن القيم: (٤/ ٣٢٢ - ٣٢٣).

«فَمَا مِنْ مَرَضٍ مِنْ أَمْرَاضِ الْقُلُوبِ وَالْأَبْدَانِ إِلَّا وَفِي الْقُرْآنِ سَبِيلُ الدَّلَالَةِ عَلَىٰ دَوَائِهِ وَسَبَبِهِ، وَالْحِمْيَةِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ مُؤْذٍ وَمُضِرٍّ، وَمَعَ هَذَا فَإِعْرَاضُ أَكْثَرِ الْقُلُوبِ عَنْهُ، وَعَدَمُ انْتِفَاعِهَا بِهِ؛ لِعَدَمِ اعْتِقَادِهَا الْجَازِمِ الَّذِي لَا رَيْبَ فِيهِ أَنَّهُ كَذَلِكَ، وَلِعَدَمِ اسْتِعْمَالِهِ، وَلِلْعُدُولِ عَنْهُ إِلَىٰ الْأَدْوِيَةِ الَّتِي رَكَّبَهَا بَنُو جِنْسِهَا، فَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الشِّفَاءِ بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَغَلَبَتْ عَلَيْهِمُ الْعَوَائِدُ، وَاشْتَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْأَعْرَاضُ لَمَّا اشْتَدَّ مِنْهُمُ الْإِعْرَاضُ، فَتَمَكَّنَتْ مِنْهُمُ الْعِلَلُ وَالْأَدْوَاءُ، فَأَصَابَتِ الْقُلُوبَ، وَرَبَتْ عَلَيْهَا الْأَجْسَادُ، وَصَارَ لَهُمْ مَنْ يُعَظِّمُونَهُ، وَيُحْسِنُونَ بِهِ الظَّنَّ، فَعَظُمَ الْمُصَابُ، وَاسْتَحْكَمَ الدَّاءُ، وَتَرَكَّبَتْ أَمْرَاضٌ وَعِلَلٌ أَعْيَا عَلَيْهَا عِلَاجُهَا، وَكُلَّمَا

عَالَجَهَا الْمُعَالِجُونَ بِتِلْكَ الْعِلَاجَاتِ الْحَادِثَةِ؛ تَفَاقَمَ أَمْرُهَا وَقَوِيَتْ، وَلِسَانُ الْحَالِ يُنَادِي عَلَيْهِمْ:

وَمِنَ الْعَجَائِبِ وَالْعَجَائِبُ جَمَّةٌ
قُرْبُ الشِّفَاءِ وَمَا إِلَيْهِ وُصُولُ
كَالْعِيسِ[(١)] فِي الْبَيْدَاءِ يَقْتُلُهَا الظَّمَا
وَالْمَاءُ فَوْقَ ظُهُورِهَا مَحْمُولُ»[(٢)]

---

(١) «**الْعِيْسُ**»: بكسر العين، هِيَ: الإِبِلُ البِيضُ مَعَ شُقْرَةٍ يَسِيرة، واحِدُها: أَعْيَسُ وعَيْسَاء؟

انظر: «**الصِّحَاحَ**» للجوهري: باب السين، فصل العين مع الياء، (٣/ ٩٥٤).

(٢) البيتان ذكرهما ابن القيم في «**زاد المعاد**»: (٤/ ٩٣)، بدون نسبة، وكذا في مصادر كثيرة، ونسبهما صاحب: =

فَإِنَّ الْإِبِلَ الرَّوَايَا -أَي: الَّتِي تَحْمِلُ الْمَاءَ- تَضْرِبُ فِي الصَّحَرَاءِ وَالْمَاءُ عَلَىٰ ظَهْرِهَا:

كَالْعِيسِ فِي الْبَيْدَاءِ يَقْتُلُهَا الظَّمَا؛ أَيِ: الْعَطَشُ.

وَالْمَاءُ فَوْقَ ظُهُورِهَا مَحْمُولُ.

فَمِـــنَ الْعَجَائِـــبِ وَالْعَجَائِـــبُ جَمَّـــةٌ

قُـــرْبُ الشِّـــفَاءِ وَمَـــا إِلَيْـــهِ وُصُـــولُ

=

«**مجمع الحكم والأمثال**»: باب الهاء: الهوىٰ والميل!!، (ص٥٣٤)، إلىٰ الشاعر الجاهلي طرفة بن العبد المتوفي نحو سنة ستين قبل هـ/ الموافق نحو أربع وستين وخمسمائة م)، بلفظ:

«**وأَمَرُّ ما لقيتُ من ألمِ الهوىٰ ... قربَ الحَبيبِ وما إِليه وصولُ**».

كَـالْعِيسِ فِـي الْبَيْـدَاءِ يَقْتُلُهَـا الظَّمَـا
وَالْمَـاءُ فَـوْقَ ظُهُورِهَـا مَحْمُـولُ

«قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥١].

فَمَنْ لَمْ يَشْفِهِ الْقُرْآنُ فَلَا شَفَاهُ اللهُ، وَمَنْ لَمْ يَكْفِهِ فَلَا كَفَاهُ اللهُ»(١).

وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ الْقَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ-(٢) أَنَّهُ أَصَابَتْهُ عِلَلٌ، وَنَزَلَتْ بِهِ أَدْوَاءٌ عِنْدَمَا كَانَ مُجَاوِرًا بِمَكَّةَ، وَعَزَّ عَلَيْهِ الْتِمَاسُ مَنْ يُدَاوِيهِ، قَالَ: فَكُنْتُ

---

(١) «زاد المعاد»: (٤/ ٣٢٣).

(٢) «زاد المعاد»: (٤/ ١٦٤ و ٣٦١)، وَ«الدَّاءُ وَالدَّوَاءُ»: (ص٨).

أَسْتَشْفِي بِمَاءِ زَمْزَمَ، فَأَذْهَبَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَنِّي مَا وَجَدْتُ، وَكُنْتُ أَسْتَشْفِي بِالْفَاتِحَةِ، فَأَبْرَأَنِي اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مِنْ جَمِيعِ الْأَدْوَاءِ.

فَالْفَاتِحَةُ شِفَاءٌ؛ بَلْ مِنْ أَسْمَائِهَا: (الشَّافِيَةُ)، فَالْفَاتِحَةُ (الشَّافِيَةُ)، هَذَا مِنْ أَسْمَاءِ الْفَاتِحَةِ، فَجَعَلَهَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ شِفَاءً، وَالشِّفَاءُ فِيهَا مَضْمُونٌ؛ وَلَكِنَّ الْمُشْكِلَةَ إِنَّمَا تَكُونُ فِي الْمُسْتَرْقِي بِهَا، فِي الْمُسْتَعْمِلِ لَهَا، فَيَكُونُ الْعَيْبُ فِيهِ؛ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ إِنْسَانٌ لِإِنْسَانٍ مُدَاوِيًا بِدَوَاءٍ، فَتَخَلَّفَ الشِّفَاءُ؛ فَالشِّفَاءُ إِنَّمَا يَتَخَلَّفُ إِمَّا بِسَبَبِ الْمُسْتَعْمِلِ لَهُ -أَيْ: لِلدَّوَاءِ-، أَوِ الْمُسْتَعْمَلِ مَعَهُ الدَّوَاءُ، أَوْ يَتَخَلَّفُ الشِّفَاءُ لِعَدَمِ نَفْعِ الدَّوَاءِ نَفْسِهِ، فَهَذِهِ ثَلَاثَةُ أُمُورٍ.

الرُّقْيَةُ الشَّرْعِيَّةُ.. «**مَنْ عَادَ مَرِيضًا فَقَالَ عِنْدَهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَسْأَلُ اللهَ الْعَظِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَشْفِيَكَ؛ إِلَّا شَفَاهُ اللهُ مِنْ ذَلِكَ الْمَرَضِ**»(١)؛ إِلَّا إِذَا كَانَ مَرَضَ الْمَوْتِ؛ لِأَنَّ الْمَوْتَ لَا حِيلَةَ فِيهِ، وَأَمَّا إِذَا كَانَ هَذَا الْمَرَضُ لَيْسَ مُفْضِيًا -بِقَدَرِ اللهِ- إِلَىٰ الْمَوْتِ؛ فَلَا بُدَّ أَنْ يَبْرَأَ.

---

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «**السُّنَنِ**»: (٣/ ١٨٧، رقم ٣١٠٦)، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي «**الْجَامِعِ**»: (٤/ ٤١٠، رقم ٢٠٨٣)، مِنْ حَدِيثِ: ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.
قَالَ التِّرْمِذِيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ»، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «**صَحِيحِ التَّرْغِيبِ والتَّرْهِيبِ**»: (٣/ ٣٦١، رقم ٣٤٨٠).

وَنَحْنُ نَذْهَبُ نَعُودُ الْمَرْضَىٰ، وَيَعُودُنَا إِذَا مَرِضْنَا مَنْ يَعُودُنَا، وَيَقُولُونَ عِنْدَنَا وَنَقُولُ عِنْدَ الْمَرْضَىٰ هَذَا الذِّكْرَ نَفْسَهُ، وَفِي الْجُمْلَةِ لَا يَأْتِي الشِّفَاءُ!!

فَأَيْنَ الْخَلَلُ؟!!

الْخَلَلُ لَيْسَ فِي الدَّوَاءِ؛ لِأَنَّ هَذَا هُوَ كَلَامُ الْمَعْصُومِ ﷺ، وَهُوَ لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ.

إِذَنْ؛ الدَّوَاءُ مَضْمُونٌ، وَإِنَّمَا تَأْتِي الْمُشْكِلَةُ مِنَ الرَّاقِي بِهِ؛ لِعَدَمِ حُسْنِ تَوَكُّلِهِ عَلَىٰ اللهِ، أَوْ لِرِيَائِهِ بِمَا يَأْتِي بِهِ، وَتَسْمِيعِهِ، وَعَدَمِ إِرَادَتِهِ وَجْهَ اللهِ.

فَلِضَعْفِ تَوَكُّلِهِ أَوْ لِفَسَادِ قَلْبِهِ مَعَ صِحَّةِ الدَّوَاءِ لَا يَأْتِي الشِّفَاءُ.

وَقَدْ يَكُونُ الْخَلَلُ لَا فِي الرَّاقِي، وَإِنَّمَا يَكُونُ الْخَلَلُ فِي الْمَرْقِيِّ، وَأَمَّا الدَّوَاءُ؛ فَلَا خَلَلَ فِيهِ، فَيَكُونُ الرَّاقِي عَظِيمَ التَّوَكُّلِ، مُقْبِلًا عَلَىٰ اللهِ بِالْإِخْلَاصِ، سَاعِيًا فِي مَصْلَحَةِ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ، مُسْتَعْمِلًا لِلدَّوَاءِ الَّذِي فِيهِ الشِّفَاءُ؛ وَلَكِنَّ الْمَرْقِيَّ يَكُونُ مُتَعَلِّقًا بِالرَّاقِي، لَا بِرَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، فَيَتَخَلَّفُ -حِينَئِذٍ- عَنْهُ الشِّفَاءُ.

فَإِذَا مَا صَحَّتْ هَذِهِ الْجِهَاتُ الثَّلَاثَةُ؛ تَحَصَّلَ الشِّفَاءُ بِفَضْلِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا مَحَالَةَ.

«**عَنْ أَبِي سَعِيدٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قَالَ:** «انْطَلَقَ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي سَفْرَةٍ سَافَرُوهَا، حَتَّىٰ نَزَلُوا عَلَىٰ حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ، فَاسْتَضَافُوهُمْ -أَيْ: طَلَبُوا مِنْهُمْ أَنْ يُضَيِّفُوهُمْ-، فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمْ، فَلُدِغَ سَيِّدُ ذَلِكَ الْحَيِّ، فَسَعَوْا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ، لَا يَنْفَعُهُ شَيْءٌ.

فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَوْ أَتَيْتُمْ هَؤُلَاءِ الرَّهْطَ الَّذِينَ نَزَلُوا -وَهُمْ مِنْ أَصْحَابِ الرَّسُولِ ﷺ-؛ لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ بَعْضِهِمْ شَيْءٌ، فَأَتَوْهُمْ، فَقَالُوا: يَا أَيُّهَا الرَّهْطُ! إِنَّ سَيِّدَنَا لُدِغَ، وَسَعَيْنَا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ، لَا يَنْفَعُهُ شَيْءٌ؛ فَهَلْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْكُمْ مِنْ شَيْءٍ؟

فَقَالَ بَعْضُهُمْ: نَعَمْ..

رَاوِي الْحَدِيثِ -كَمَا مَرَّ- أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ، هُوَ يَقُولُ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ.. وَلَمْ يُصَرِّحْ بِهَذَا الْبَعْضِ.

فَقَالَ بَعْضُهُمْ: نَعَمْ، وَاللهِ إِنِّي لَأَرْقِي..

وَالَّذِي أَبْهَمَهُ هَاهُنَا هُوَ الرَّاوِي نَفْسُهُ، فَأَبُو سَعِيدٍ هُوَ الرَّاقِي؛ وَلَكِنْ لِأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ سَاقَ الشِّفَاءَ بِرُقْيَتِهِ أَبْهَمَ نَفْسَهُ.

قَالَ: **فَقَالَ بَعْضُهُمْ**: نَعَمْ، وَاللهِ! إِنِّي لَأَرْقِي؛ وَلَكِنْ وَاللهِ لَقَدِ اسْتَضَفْنَاكُمْ فَلَمْ تُضَيِّفُونَا، فَمَا أَنَا بِرَاقٍ لَكُمْ حَتَّىٰ تَجْعَلُوا لَنَا جُعْلًا، فَصَالَحُوهُمْ عَلَىٰ قَطِيعٍ مِنَ الْغَنَمِ.

يَعْنِي: إِنْ جِئْتَ فَرَقَيْتَ سَيِّدَ الْحَيِّ، فَشُفِيَ؛ فَلَكَ هَذَا الْقَطِيعُ مِنَ الْغَنَمِ.

وَهُوَ لَمْ يَصْنَعْ ذَلِكَ إِلَّا لِيُقَابِلَ فِعْلَهُمْ بِفِعْلٍ مِثْلِهِ، هُمْ لَمَّا نَزَلُوا عَلَىٰ أُولَئِكَ الْقَوْمِ؛ قَالُوا: نَحْنُ ضِيفَانٌ عِنْدَكُمْ، قَالُوا: لَا وَاللهِ! لَا نَسْتَضِيفُكُمْ، وَلَا نُضَيِّفُكُمْ، فَلَمَّا لُدِغَ سَيِّدُ الْحَيِّ، وَطَلَبُوا مِنْهُمْ رَاقِيًا؛ قَالَ: فِينَا رَاقٍ؛ وَلَكِنْ لَا وَاللهِ! مَا أَنَا لَهُ بِرَاقٍ حَتَّىٰ تَجْعَلُوا لَنَا جُعْلًا -وَالْجُعْلُ: الْأُجْرَةُ عَلَىٰ الشَّيْءِ فِعْلًا وَقَوْلًا-.

«فَصَالَحُوهُمْ عَلَىٰ قَطِيعٍ مِنَ الْغَنَمِ، فَانْطَلَقَ يَتْفُلُ عَلَيْهِ -عَلَىٰ سَيِّدِ الْحَيِّ-، وَيَقْرَأُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ...﴾ السُّورَةَ، قَالَ: فَكَأَنَّمَا نَشِطَ مِنْ عِقَالٍ -يَعْنِي: كَأَنَّمَا كَانَ مَرْبُوطًا بِحَبْلٍ، فَفُكَّ عَنْهُ حَبْلُهُ وَعِقَالُهُ-، فَانْطَلَقَ يَمْشِي وَمَا بِهِ قَلَبَةٌ -وَمَا بِهِ مِنْ عِلَّةٍ-، قَالَ: فَأَوْفُوهُمْ جُعْلَهُمُ الَّذِي صَالَحُوهُمْ عَلَيْهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: اقْسِمُوا، فَقَالَ الَّذِي رَقَىٰ -وَهُوَ نَفْسُهُ-: لَا تَفْعَلُوا حَتَّىٰ نَأْتِيَ النَّبِيَّ ﷺ، فَنَذْكُرَ لَهُ الَّذِي كَانَ، فَنَنْظُرَ مَا يَأْمُرُنَا، فَقَدِمُوا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَذَكَرُوا لَهُ، فَقَالَ: «**وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ** -يَعْنِي: الْفَاتِحَةَ-؟».

ثُمَّ قَالَ: «**قَدْ أَصَبْتُمْ، اقْسِمُوا، وَاضْرِبُوا لِي مَعَكُمْ سَهْمًا**»، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ». الْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»(١).

النَّبِيُّ ﷺ لَمَّا قَالَ: «**اقْسِمُوا، وَاضْرِبُوا لِي مَعَكُمْ سَهْمًا**»؛ هُوَ لَا يُرِيدُ مِنْهُمْ شَيْئًا، النَّبِيُّ ﷺ لَا يُرِيدُ مِمَّا حَصَّلُوا مِنَ الْقَوْمِ شَيْئًا.. مِنْ ذَلِكَ الْقَطِيعِ؛ وَلَكِنَّهُ أَرَادَ ﷺ بِهَذِهِ الْمُشَارَكَةِ أَنْ يُبَيِّنَ لَهُمْ بِالدَّلِيلِ الْعَمَلِيِّ أَنَّ هَذَا الَّذِي أَخَذُوهُ حَلَالٌ مَحْضٌ لَا شُبْهَةَ فِيهِ؛ لِأَنَّهُمْ تَوَقَّفُوا، قَالُوا: لَقَدْ رَقَىٰ بِالْفَاتِحَةِ، أَيْ: بِالْقُرْآنِ؛ فَهَلْ يَصِحُّ أَنْ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «**الصَّحِيحِ**»: (٤/ ٤٥٣، رقم ٢٢٧٦)، وَمُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: (٤/ ١٧٢٨، رقم ٢٢٠١).

يَأْخُذَ أَجْرًا عَلَىٰ الرُّقْيَةِ وَهِيَ بِالْقُرْآنِ، لَا بِسِوَاهُ، وَلَا بِشَيْءٍ مَعَهُ، وَإِنَّمَا بِالْفَاتِحَةِ؛ فَهَلْ يَصِحُّ أَخْذُ الْأُجْرَةِ عَلَىٰ ذَلِكَ، أَوْ لَا يَصِحُّ؟

فَالنَّبِيُّ ﷺ أَرَادَ أَنْ يُبَيِّنَ لَهُمْ حِلَّ مَا أَخَذُوهُ، فَقَالَ ﷺ: «**اقْسِمُوا، وَاضْرِبُوا لِي مَعَكُمْ سَهْمًا**»، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ.

أَثَّرَ هَذَا الدَّوَاءُ فِي هَذَا الدَّاءِ، وَأَزَالَهُ؛ حَتَّىٰ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ، «وَمَا بِهِ قَلَبَةٌ» أَيْ: وَمَا بِهِ وَجَعٌ وَلَا عِلَّةٌ، «وَهُوَ أَسْهَلُ دَوَاءٍ وَأَيْسَرُهُ، وَلَوْ أَحْسَنَ الْعَبْدُ التَّدَاوِيَ بِالْفَاتِحَةِ؛ لَرَأَىٰ لَهَا تَأْثِيرًا عَجِيبًا فِي الشِّفَاءِ»(١)، فَهِيَ مَبْذُولَةٌ لَكَ، مَنِ الَّذِي يَتَدَاوَىٰ بِهَا إِذَا مَرِضَ؟!!

---

(١) «**الدَّاءُ وَالدَّوَاءُ**»: (ص ٧ – ٨).

مَنِ الَّذِي يَأْخُذُ بِهَا إِذَا اشْتَكَىٰ؟!!

وَلِذَلِكَ يَتَعَجَّبُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ(١) **فَيَقُولُ**: وَهُوَ أَسْهَلُ دَوَاءٍ وَأَيْسَرُهُ، وَلَوْ أَحْسَنَ الْعَبْدُ التَّدَاوِيَ بِالْفَاتِحَةِ؛ لَرَأَىٰ لَهَا تَأْثِيرًا عَجِيبًا فِي الشِّفَاءِ.

●●●

(١) «**الدَّاءُ وَالدَّوَاءُ**»: (ص ٨).

لَا شَافِيَ إِلَّا اللهُ وَلَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُهُ

اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هُوَ الشَّافِي، وَلَا شَافِيَ إِلَّا هُوَ، وَلَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُهُ، وَلَا يَرْفَعُ الْمَرَضَ وَلَا يُزِيلَ الْبَلَاءَ وَالضُّرَّ إِلَّا هُوَ؛ فَعَلَىٰ الْعَبْدِ أَنْ يُوقِنَ بِذَلِكَ يَقِينًا جَازِمًا، وَأَنَّهُ مَهْمَا أَصَابَ الْعَبْدَ مِنْ شَيْءٍ فَلَنْ يَرْفَعَهُ عَنْهُ إِلَّا اللهُ، وَإِنَّمَا يَجْعَلُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي يُقَدِّرُهَا مَا يَجْعَلُ، وَهِيَ فَاعِلَةٌ بِأَمْرِهِ، فَهَذِهِ الْأَسْبَابُ إِنَّمَا هِيَ فَاعِلَةٌ بِأَمْرِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

فِي الْحَدِيثِ(١): «**اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ! أَذْهِبِ الْبَاسَ،**

---

(١) تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ.

وَاشْفِهِ أَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا».

«**لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ**»: لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاءُ اللهِ، شِفَاءُ اللهِ لَا شِفَاءَ سِوَاهُ، وَشِفَاءُ الْمَخْلُوقِينَ لَيْسَ إِلَّا سَبَبًا، الشَّافِي هُوَ اللهُ، فَلَيْسَ بالرَّفِيقِ؛ أَيِ: الطَّبِيبِ، وَلَيْسَ بِالدَّوَاءِ، وَلَا شَيْءَ مِنْ ذَلِكَ يُحَصِّلُ شِفَاءً، وَإِنَّمَا الْمُعَالِجُ سَبَبٌ، وَالدَّوَاءُ سَبَبٌ، وَالشَّافِي هُوَ اللهُ.

وَالْأَمْرُ بِالْأَسْبَابِ مَوْجُودٌ فِي دِينِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا، وَهُوَ مِنْ دِينِهِ، وَمَنْ طَعَنَ فِي الْأَخْذِ بِالْأَسْبَابِ؛ فَقَدْ طَعَنَ فِي الرَّسُولِ ﷺ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ كَانَ يَأْخُذُ بِالْأَسْبَابِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَيَتَوَكَّلُ -مَعَ ذَلِكَ- حَقَّ التَّوَكُّلِ عَلَى اللهِ؛ وَلَكِنْ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ السَّبَبَ لَيْسَ فَاعِلًا بِذَاتِهِ، وَإِنَّمَا هُوَ مُؤَثِّرٌ بِأَمْرِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَقَدَرِهِ.

فَعَلَىٰ الْإِنْسَانِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ الطَّبِيبَ سَبَبٌ، وَأَنَّ الدَّوَاءَ سَبَبٌ، وَإِنَّمَا الشَّافِي فِي الْحَقِيقَةِ هُوَ اللهُ؛ وَلِهَذَا يَمْرَضُ الرَّجُلَانِ بِمَرَضٍ وَاحِدٍ، وَيُدَاوَيَانِ بِدَوَاءٍ وَاحِدٍ، وَعَلَىٰ صِفَةٍ وَاحِدَةٍ، فَيَمُوتُ هَذَا، وَيُشْفَىٰ هَذَا؛ لِأَنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ بِيَدِ اللهِ وَحْدَهُ، هُوَ الشَّافِي، وَمَا يُصْنَعُ مِنَ الْأَدْوِيَةِ، وَمَا يُؤْخَذُ بِهِ مِنَ الرُّقَىٰ.. فَكُلُّ ذَلِكَ سَبَبٌ، وَنَحْنُ مَأْمُورُونَ بِالْأَخْذِ بِذَلِكَ السَّبَبِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ -وَالْحَدِيثُ عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ فِي «سُنَنِهِ»، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ-: «**فَتَدَاوَوْا، وَلَا تَدَاوَوْا بِحَرَامٍ**»(١).

---

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «**السُّنَنِ**»: (٤/ ٧، رقم ٣٨٧٤)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ أَنْزَلَ الدَّاءَ وَالدَّوَاءَ، وَجَعَلَ لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءً فَتَدَاوَوْا وَلَا تَدَاوَوْا بِحَرَامٍ**».

=

فَأَمَرَ الرَّسُولُ ﷺ بِالتَّدَاوِي، وَبِالْتِمَاسِ أَسْبَابِ الشِّفَاءِ.

قَوْلُهُ ﷺ: «**شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا**»؛ أَيْ: شِفَاءً كَامِلًا لَا يُبْقِي سَقَمًا؛ أَيْ: لَا يُبْقِي مَرَضًا.

فَفِي هَذِهِ الرُّقْيَةِ: «**اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ! أَذْهِبِ الْبَاسَ، وَاشْفِهِ أَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا**»: فِيهَا تَوَسُّلٌ إِلَىٰ اللهِ بِكَمَالِهِ وَرُبُوبِيَّتِهِ، وَبِتَمَامِ رُبُوبِيَّتِهِ وَكَمَالِهَا، وَبِكَمَالِ رَحْمَتِهِ بِالشِّفَاءِ، وَأَنَّهُ وَحْدَهُ الشَّافِي، وَأَنَّهُ لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُهُ.

=

وَالْحَدِيث حَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «**الصَّحِيحَةِ**»: (٤/ ١٧٤، رقم ١٦٣٣).

فَتَضَمَّنَتِ التَّوَسُّلَ إِلَيْهِ بِتَوْحِيدِهِ، وَإِحْسَانِهِ، وَرُبُوبِيَّتِهِ.

أَسْأَلُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ أَنْ يُعَافِيَنَا مِنْ كُلِّ دَاءٍ وَسُوءٍ، وَأَنْ يُحْسِنَ خِتَامَنَا أَجْمَعِينَ، وَأَنْ يُعَلِّمَنَا مَا يَنْفَعُنَا، وَأَنْ يَنْفَعَنَا بِمَا عَلَّمَنَا، وَأَنْ يَزِيدَنَا عِلْمًا.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصحَابِهِ أَجمَعِينَ.

أُلْقِيَتْ هَذِهِ الْمُحَاضَرَة يَوْمَ

الثُّلَاثَاء ٢٢ مِنْ رَجَب ١٤٣٣هـ

الْمُوَافِق ١٢-٦-٢٠١٢م

المسجد الشرقي – سبك الأحد – أشمون

– محافظة المنوفية – مصر

الْفِهْرِسُ